

الشرق الذكي

التقنيات الجديدة تغير العالم العربي. تحد كبير للأنظمة التقليدية - وفرصة للغرب

اياذ العاني

ظهر في لندن في بداية التسعينيات كتاب رائع - لم يحظ باهتمام كبير من الجمهور - بعنوان معاصر بشدة حينها "مستقبل الأمة العربية" - وتضمن الكتاب مجموعة سيناريوهات لتصورات بعض الاقتصاديين العرب المهمين لما سيكون عليه المستقبل في المنطقة العربية، وذلك وفق اعتبارات شبيهة الى حد بعيد بما كانت تدور حوله النقاشات بشأن التحولات حدثت التي في اوروبا وخاصة فيما يتعلق بتكامل الاقتصاديات الوطنية . كذلك تضمن الكتاب - ما سيكون عليه الوضع حال فشل هذا التكامل، بافتراض انهيار معدلات النمو في كل الاقتصاديات العربية .

أكثر من ذلك: تنبأ هؤلاء الخبراء بإنهيار وتفكك بعض الدول العربية بسبب الضعف الاقتصادي المشار اليه هذا، مثل سوريا والعراق ولبنان وليبيا .والآن وبعد مرور قرابة ثلاثين عاماً تقريباً على هذا التنبؤ - نرى أن منطقة الخليج فقط هي الوحيدة ،تقريباً ، التي نجت من هذا السيناريو إلى حد كبير - فيما اتخذت معظم الدول العربية هذا التطور تماماً، بل وتجاوزت تداعيات انهيار الاستقرار السياسي في تلك المنطقة السيناريوهات التي وضعها الخبراء لتلك الدول .

لم تتكامل الاقتصاديات بين أي من تلك الدول، وبالرغم من ان دولاً مثل العراق وليبيا ولبنان ما زالت موجودة كدول ،قومية -" الا أنها باتت منقسمة بحكم الواقع، بعد ان تضاءلت مؤسساتها وباتت هشّة، وحلت العشائر والقبائل محل الدولة ، وبالتالي سادت قوانينها .

،لقد تسببت وستسبب التقنيات والتغيرات في سلاسل القيم العالمية في احداث تغييرات كبرى في الاقتصاديات العربية المقيدة وبالرغم من هذا سيجري خلق فرص اقتصادية جديدة - الا انه يعني في نفس الوقت تقلص عدد الوظائف، حيث ستغزو المنطقة المنصات العالمية للبضائع وخدمات السوق، وبالتالي ستعرض الاقتصاديات لضغوط لم تشهدها من قبل ما سيستوجب بالضرورة التعاون بين اوروبا والمنطقة العربية على نحو كبير - بل وربما غير مسبوق من قبل .

.....

المنتدى الاقتصادي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في العقبة ، الأردن الذي انعقد في

مايو 2017 - كان أكثر من رائع .فبالإضافة إلى الفخامة التي بدا عليها العاهل الأسباني، والعائلة الملكية الأردنية- والكشف عن تعيين ولي العهد رئيساً للمؤتمر ، قام عدد من الشركات الأردنية الناشئة بالتعريف عن نفسها واستعراض تصوراتها، وذلك رغم أمر غير تقليدي في وجود اصحاب السمو والنخب السياسية - وهو ما يفسر الخجل الذي بدا عليه مدراء تلك الشركات

الظهور المشترك للكيانات التقليدية والشركات الناشئة رسخ في الأذهان رسالة من شقين

. اولاهما- أن مشاكل الرقمنة في العالم العربي يمكن ان تُحل

ثانيهما ان هذا الحل سيأتي بالتزامن مع استمرار النظام التقليدي في تأكيد نفسه، وتقديم ما يستطيع تقديمه من مساعدة بهذا الخصوص ، وانه لا يوجد تناقض على الاطلاق بين التاج التقليدي ووسائل الاتصالات الحديثة ، وهذا نفسه ماكان قد لاحظته بالفعل كارل كراوس في بداية القرن العشرين - من أن التقدم التقني في أوروبا ، سيدعم التعايش بين العرش والهاتف "وسيكون ذلك لمصلحة الطبقة الحاكمة .

أصبحت الرقمنة أمراً مرغوباً فيه بشدة في شتى أنحاء العالم الآن، وذلك رغم ان التغيرات الرقمية تلك تثير الاندهاش على نحو ما وطرحنا التساؤل حول ان كان قد بات من الممكن - أخيراً - استخدام الموارد الخاملة هنا أو هناك - كذلك طُرح قضية إعادة توحيد اقتصاديات الدول العربية التي فصلت القوى الاستعمارية حدودها الجغرافية والسياسية - وبمعنى توفر الظروف الموضوعية - لاقامة وحدة عربية رقمية تتكامل فيها- أخيراً - الاقتصاديات العربية - .

من ناحية ثانية ازدادت الآمال في ان يساهم انشاء المنصات العربية المتكاملة والتفاعل مع الاقتصاديات العالمية في انعاش كل المناطق بدرجات متقاربة - حتى البعيدة منها - المقفرة ، وخاصة بعد قيام الشركات العربية الناشئة بجهود كبيرة بالمشاركة مع الجهات الفاعلة بايجاد حلول للمشاكل في المجالات الصحية والزراعية والثقافية، وغرس قيم الشجاعة لمواجهة كل المشكلات المتراكمة باستخدام التقنيات الحديثة، وصور وأشكال التنظيم الجديدة - وبهذا الخصوص استطاع أحد المشاريع حول التحولات الرقمية في المنطقة العربية، والممولة من وزارة الخارجية الألمانية - طرح مجموعة من الأفكار في غضون أيام قليلة - تغطي جميع مجالات المجتمع تقريباً - من إعادة تدوير النفايات، مروراً بالمدن الذكية ومحاربة الاشاعات، وحتى الزراعة الرقمية، والأرشيف والمحفوظات الافتراضية للأحداث التاريخية.

،من جانب آخر - ساهم أول تحليل باللغة العربية من خمس دول بالمنطقة في ايجاد رؤية مشتركة للمجتمع الرقمي وتنوعه وحيويته حتى في المناطق المقفرة تماماً مثل قطاع غزة الذي مرقتة الحرب

والضفة الغربية المعزولة جغرافياً - ولاحظ البنك الدولي ظهور منصات عربية مبتكرة في

مجالات النقل، على سبيل المثال تدعم مراكز مثل غزة سكاى جيكس هذا الاتجاه - بتوفير الوظائف التقنية وتمويل برامج التدريب في مصر تغطية المجالات التي يتجاهلها القطاع العام WUZUF والتسويق . كذلك تحاول منصات مثل وكالة التوظيف

،للنقل Careem - وفي مدينة دبي الذكية ، تم إطلاق منصات إقليمية للتنافس مع الشركات العالمية الكبرى ، مثل منصة كريم ومنصة سوق التداول-. وهذا بحد ذاته يشجع على طرح السؤال حول ما اذا بات من الممكن الآن بمساعدة التحولات الرقمية تكامل الاقتصاديات العربية .

الخصائص التي باتت تميز التطور الحاصل تشير الى ان العديد من الأطراف العاملة بهذا المجال ما زالوا يحاولون تطوير أفكارهم في مجتمعاتهم بأنفسهم بعزلة تامة عن حولهم، ويعزز من تلك العزلة الدعم الحكومي والتجاري المنخفض، وكذلك محاولات الانغلاق والحماية الذاتية من التأثيرات الخارجية السلبية، وهذا يتسق بالطبع مع صور الجدل في العالم العربي حول التحول الرقمي والذي لم يتجاوز مرحلة البدايات الأولى بعد. الأسوأ من ذلك هو الفكرة الرائجة بشأن المتغيرات تلك، وانها لن تؤثر على الممارسات - التجارية التقليدية ، وأن الهياكل التقليدية والشركات الجديدة ستتواجد بشكل متوازٍ تقريباً للهياكل القائمة - كذلك بدا في العالم العربي نفس الجدل القائم منذ بعض الوقت في الغرب حول الآثار القوية للرقمنة على أماكن العمل التقليدية من خلال تقنيات مثل الذكاء الاصطناعي والروبوتات والمنصات، ومع ذلك يتوجب القول ان التقنيات الجديدة سٌحدث تغييراً كبيراً في الصناعات القائمة والأنظمة الاقتصادية في العالم العربي، ولن تنخفض الحاجة إلى العمالة الكثيفة فقط - بل ان الشركات العربية ستستخدم تقنيات جديدة ايضاً ، وبالتالي ستحتاج إلى إمدادات أقل من العالم العربي .حتى قطاع تكنولوجيا المعلومات الحديث في العالم العربي سيتعرض لضغوط ، والعمل الذي يجري الآن في مراكز الاتصال في شمال إفريقيا سيغير النظم الاقتصادية في العالم العربي بشكل كبير .

الصين ايضاً استفادت كثيراً من التحولات الحادثة بهذا الخصوص في العالم العربي ، وسيتم التعامل مع الاسواق بواسطة روبوتات المحادثة في المستقبل المنظور، وذلك على نحو يزيل الطابع المادي للسلع - فمثلاً - أصبحت البرمجيات في السيارة الكهربائية أكثر أهمية من محرك الأقراص "البسيط - وهذا بدوره سيؤدي أيضاً إلى انخفاض الطلب على الإمدادات العربية ، على سبيل المثال في صناعة توريد السيارات

توصل تحليل أجرته منظمة العمل الدولية إلى استنتاج مفاده أن الروبوتات وحدها في البلدان النامية دمّرت ما مجموعه 14% من الوظائف في الصناعات ذات الصلة بين عامي 2004 و 2012.

سيناريوهات التحول بناءً على التغيير التقني الحاصل.

وبخصوص ذلك يمكن اشتقاق عدد من السيناريوهات المختلفة والمتوقعة ، فالتحول الرقمي الكامل سيتم فيه أتمتة الصناعات المهمة وسيقوم السكان بوظائف أخرى في السياسة أو التعليم أو الثقافة. وهي وظائف مدعومة بشكل أساسي - يتم توفيره من الموارد الناجمة من مصنع الروبوتات.

السيناريو الثاني هو بالفعل حقيقة واقعة في دول الخليج ، مع اختلاف واحد - حيث لاتزال العمالة الآسيوية الوافدة تخلق القيمة المضافة لمجتمع سيعتمد بأغلبه على الدخول التي ستنتج عن منظومة الروبوتات في المستقبل. أما ثالثاً - فهو الرقمنة الجزئية، أي حل وسط بين السيناريوهين المذكورين، والتي ستنتج في الغالب في بعض المراكز والمراكز الحضرية فقط، فيما ،، قد "يهدد التخلف المناطق المحيطة بها، و في أفضل السيناريوهات، ستتحكم المنصات الصينية أو الغربية المتخصصة في المناطق ذات البنى التحتية المتخلفة، وتحديداً في شبكات المياه أو الكهرباء أو النقل أو الغذاء الاصطناعي. حيث سيجري توفير الخدمات الأساسية لمنع الهجرة وتخفيف الضغط على المراكز المتقدمة

.....

سيناريو آخر مذهل. دعا الكاتب العراقي حسن بلاسيم مواطنيه من جميع أنحاء العالم لإرسال قصص قصيرة عن العالم الذي سيوجد بعد مائة عام من الغزو الأمريكي، والمفاجأة ان القصص جميعها تقريباً أتت برؤى متشابهة، يتابع فيها العراقيون حياتهم الثقافية والدينية والموجهة بشكل غير مرئي من الشركات والمنصات الصينية! فهل هذا خيال علمي؟

رفعت الصين بالفعل علاقاتها مع أربع دول عربية في شمال إفريقيا إلى شركات استراتيجية. وبين عامي 1999 و 2017 ، زاد حجم تجارة بكين مع دول شمال إفريقيا بمقدار سبعة عشر ضعفاً - ولذا فما يجب القيام به الآن بعيداً عن الصين يتعلق بضرورة إجراء مناقشة تتجاوز الخطاب المعتاد للشركات الناشئة - حيث يجب استخدام النضبات والبرمجيات الرقمية في القطاع الصناعي الحالي - وخاصة في قطاعات المنسوجات والزراعة وموردي قطع غيار السيارات والتعليم والإدارة - على سبيل المثال وليس الحصر كما يمكن تحويل موردي قطع السيارات مثلاً إلى مطورين للتقنيات والنظم الخاصة بهم لصناعة سيارات ذاتية القيادة ، وكذلك - لتوفير منصات لخدمات النقل الإقليمية. من ناحية أخرى ، يجب أن يبدأ النقاش حول البرامج الإقليمية العربية، فعلى سبيل المثال نوهت ،،امازون ،، مؤخراً الى ان العالم الرقمي في شبه الجزيرة العربية يجب ان يندمج بشكل أوثق مع استراتيجيات العالم الرقمي في اوربا، خاصة بعد أن اشترت منصة التداول العربية الإقليمية ،،سوق " -ما يستوجب الآن دخولها السوق العربية مباشرة. فهل يتم دمج الشركات العربية التقليدية والجديدة في منصات عالمية كموردين؟ أم بات من الممكن إعداد منصات خاصة تحتفظ بالبيانات المحلية في بلدانها واستخدامها لتطوير منتجات وخدمات جديدة؟

في كل الأحوال يجب أن يكون للنوى والأسس الرقمية الجديدة تأثير على الصناعات الأخرى وتمكين التحول الرقمي هناك أيضاً كذلك يجب أن يكون لهذه المشاريع طابع إقليمي، وإذا أردت فرنسا وألمانيا ، على سبيل المثال ، التنسيق بشكل أوثق بشأن جداول الأعمال المتعلقة بالذكاء الاصطناعي المكلف والمعقد، ستنتج الاستراتيجية الرقمية الوطنية لتونس أو الأردن فقط اذا فتحت ابوابها لتعاون معهما.

مازالت العديد من الدول العربية غارقة بالفعل في وضعها الحالي تكافح بشدة مع التحولات السياسية - فهل ستستطيع الاعتماد على أنفسها في إعادة تنظيم اقتصادياتها ومجتمعاتها المعقدة؟ الوضع الحالي يمكن أن يقرب بين العالم العربي والغرب. فالمنطقتان، معنيتان بشكل متساوٍ بالأمر، ويواجهان عالماً مجهولاً بنفس القدر، ما يستوجب تعاونهما، ليس فقط بسبب الجوار الجغرافي

بل ايضاً بسبب الترابط الوثيق الذي توفره الرقمنة العربية، والذي يربط بين اسواقهما. أوروبا في موقف صعب بسبب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي والقيود التجارية الأمريكية وصراع القرم والعداء بين الصين والولايات المتحدة، وعليها أن تدمج المنطقة الاقتصادية العربية بشكل أوثق في استراتيجياتها .

سيكون من الممكن - بسبب الظروف الجديدة تلك - تصور نشوء "الأندلس الرقمية . "ويمكن عبرها للشركات الأوروبية والعربية التعاون بشكل متكافئ للبحث عن حلول وبناء منصات مشتركة وتزويدها بالمنتجات والخدمات الإقليمية واستخدام البيانات وفق قواعد محددة، وهذا من شأنه ليس فقط توفير استخدام الموارد الابداعية العربية الخاملة حتى الآن، بل أيضاً تقليص الهجرة من البلدان العربية الى اوروا .في الوقت نفسه، سيؤدي ذلك الى تعزيز نموذج الرقمنة الأوروبي في مواجهة الصين والولايات المتحدة الأمريكية وسيزيد من جاذبية على مستوى العالم

أخيراً يمكن للشركات العربي التقني - الذي يؤسس حالياً أول شركة له في برلين ، أن يصبح جسراً حقيقياً بين الشرق والغرب بهذا Digital Arabia الخصوص - فشركات مثل غزة سكاى جيكس وكريم لها مكاتب اتصال ومراكز في ألمانيا - كذلك تحاول شبكة الربط الشبكي بين كل الشركات العاملة بهذا المجال - وهذا يعني ان التعاون متاح بين الشركاء في كل الأحوال

.....

مركز أبحاث الرقمنة في برلين ، (ECDF) أ.د. الدكتور .إياد العاني هو عضو مشارك في مركز أينشتاين للمستقبل الرقمي

.